اكتشافات اثارية اضافية في رأس الخيمة(١)

بياتريس دي كاردي
تعريب: رعد عبدالجليل جواد*

«تخبرنا الآنسة دي كاردي في هذا البحث ان التغير المضطرد في طبيعة الحياة في دول جنوب الخليج العربي يؤدي الى تزايد الحاجة بضرورة تسجيل جميع اوجه الحياة في الماضي، ليس فقط من خلال اقامة المتاحف ولكن في ضرورة تضافر الجهود للحفاظ على معالم الماضي، وفي ضوء ذلك تمت دعوتها لزيارة رأس الخيمة مرة اخرى لمدة اسبوع في شهر كانون الثاني ١٩٧٦ حيث لخصت ههنا نتائج هذه الزيارة*».

تقع امارة رأس الخيمة في اقصى شمال دولة الامارات العربية المتحدة. التي تتكون من سبع امارات، ويعتبر حاكم امارة رأس الخيمة صاحب السمو الشيخ صقر

(١) نشر هذا البحث في مجلة:
Orients and Antiquity, L, 1976, P. P. 216 - 221 Rome, Italy

* راجع البحث وعلق عليه: ناصر حسين العبودي.

بن محمد القاسمي من المهتمين جدا بتاريخ الامارة وشعبها[٢].

وقد تم المسح الاثاري بالتعاون مع الدكتور دي. بي. دو[٣] Dr.D.B Doe عام ١٩٦٨ وتركز الاهتمام على موقع جلفار الذي يقع الى الشمال من مدينة رأس الخيمة الحالية (دي كاردي ١٩٧١، ٢٣٠ ـ ٢) وقد كانت جلفار[٤] موجودة منذ العصور العباسية وتنبع اهميتها من كونها مركزا تجاريا لتوزيع السلع خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ـ الحقبة البرتغالية ـ وقد بدا ذلك من خلال انواع واشكال الاواني المكتشفة في اطلال المدينة. ومعظم المواقع المكتشفة خلال المسح تعود لتلك الحقبة، غير ان مجموعة من الركامات الحجرية قرب غليلة[٥] وبعض القبور الطويلة المجملنة

---

(٢) تعتبر امارة رأس الخيمة مهمة جدا من حيث فتراتها التاريخية المختلفة المكتشفة فيها والمذكورة من قبل الكتاب المسلمين الاوائل والمؤرخين، ويهتم صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم الامارة بالاثار ويعتبر من المهتمين الاوائل بذلك، وقد كان مجمع القطع الاثارية التي تكتشف بالصدفة منذ زمن بعيد، واليوم تم تجميع الكثير من هذه القطع فضلا عما اكتشفته البعثات الاثرية العربية والاجنبية من اثار لتعرض في متحف رأس الخيمة الوطني الذي هو قيد الانجاز. ويهتم سمو الشيخ سلطان بن صقر بن محمد القاسمي (ابن الحاكم) بهذا المرفق الحيوي ويعاونه في ذلك بعض المختصين من العرب والاجانب.

(٣) والدكتور دي. بي. دو، ودي كاردي من اوائل من قام بالمسح والتنقيب عن الاثار في امارة رأس الخيمة.

(٤) جلفار: مازالت موجودة في رأس الخيمة وتقع امام ساحل الخليج العربي الا ان الكثير من اجزائها قطع بفعل بناء بعض المساكن الحديثة وقد منعت حكومة رأس الخيمة مؤخرا البناء في هذه المنطقة وتم تسييجها حفاظا على المواقع الاثرية. الا ان المنطقة تنتظر الكثير من التنقيب لكشف ماتحويه هذه المدينة العربية القديمة، وقد تميزت القطع الاثرية المكتشفة في جلفار بملامح خاصة، وقد كان لجلفار علاقات تجارية قوية مع بلدان جنوب شرق اسيا. فقد اكتشفت في المنطقة بعض قطع السيلادون والصيني التي كانت تستورد من الصين وتايلند منذ القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين فضلا عن الكثير من العملات العربية من الحضارات العثمانية والسامانية.

وتنتشر ملامح فترة جلفار على الاواني الفخارية على طول سواحل الامارات فضلا عن عمان وبعض مناطق الخليج العربي وساحل فارس.

(٥) الركام الحجري: هي عبارة عن مواقع اثرية تمثل قبورا كبيرة دائرية او مستطيلة الشكل تمثل فترات حضارية مختلفة تبدأ من الالف الثالث قبل الميلاد والالف الثاني قبل الميلاد والالف الاول قبل الميلاد المسماة بالعصر الحديدي، وهذه القبور حسب اخر الدراسات والمسوحات التي تمت في الامارات وجدت في مناطق عربية قريبة من رأس الخيمة مثل مناطق ام القيوين وعجمان (الالف الثالث ق. م) والشارقة (الالف الثالث والاول ق. م) بالمنطقة الوسطى من الشارقة ودبي موقع القصيص (الالف الاول والثاني ق. م) وابو ظبي والعين (قبور الالف الثالث والثاني والاول ق. م).

في منطقة شمل الى الشمال الشرقي من غابات النخيل خلف رأس الخيمة (الخريطة الشكل - ١ -) تمثل بوضوح العمق التاريخي للمنطقة.

حين عدت لزيارة المنطقة لتصوير هذه المواقع، فان الركامات الحجرية قد ازيلت لتحل محلها الاعمال الاسمنتية، وكانت القبور الطويلة مهددة، بالمقلع الحجري الذي يقع على مقربة منها، وقد أشعرت السلطات بذلك الخطر فعملت على اتخاذ خطوات فورية لحماية هذه المواقع، غير ان الاحداث توضح الحاجة الضرورية لتفحص هذه المواقع التاريخية المهددة بالاخطار، بسبب طبيعتها أو موقعها . من حين لاخر تساءل بعض الزملاء الذين كانوا على دراية بمحنة علم الاثار البريطاني عن الحاجة او حتى ملائمة الوقت للقيام بالعمل الموقعي المطلوب في ماوراء البحار في حين يتطلب العمل داخل البلاد الكثير من البحث، وهم يتغاضون عن حقيقة ان موضوع الانقاذ يتطور في الوقت الحاضر في اقطار الخليج العربي على الرغم من كون هذا الموضوع لم يدرك ايضا طالما ان هناك عددا قليلا من الاثاريين الذين يلفتون النظر الى تدمير المواقع الاثارية الناجم عن تشييد الطرق والمصانع والمدن الجديدة والمساكن(٦).

الى الشمال من قبور شمل في منطقة اشجار بين واجهة المقلع الحجري والمكتب الرئيسي للمقلع تقع هضبة منخفضة تمت تسوية جزء منها وازالتها (PL XX IIa)* وقد كشف القطع انها كانت تحوي على اصداف ومزيج من كسور خزفية. ويمكن تحديد العديد من الهضاب ذات الاصداف على طول خط الساحل القديم والذي انفصل الان عن البحر بمسافة تقرب من ٤ كم باراض ملحية رخوة (سبخة). ان الحصول على

---

(٦) تعيش الامارات مشكلة كبيرة هي وجاراتها الدول الخليجية الاخرى من حيث التهديد المستمر لمواقعها الاثرية نتيجة لاعمال التحديث والاعمال العمرانية مثل المباني والطرق والجسور التي غالبا ماتكون مهددة هذه المواقع علما بان مواقع الاثار لم تمسح كلية. وان الممسوح منها لايتعدى ١٠٪ من المواقع نتيجة لعدم وجود اختصاصيين من ابناء البلاد بعلم الاثار ولعدم وضع الحكومات خطة منظمة ومدروسة وشاملة للمسح، ولعدم وجود قوانين رادعة لمن يتلاعب اويسيء للمواقع الاثرية.

وقد لاحظنا ان هنالك العديد من المواقع الاثرية والمباني التاريخية قد ازيلت وبعضها الاخر في خطر نتيجة للنسيان وعدم الاهتمام، وقد تنبهت بعض الامارات لذلك، الا ان الجهود مازالت تحتاج للكثير من العمل فضلا عن ارشاد المواطن وتنمية وعيه الخاص باهمية الاثار وضرورة المحافظة عليها، هذا وتبذل كل من امارات ابو ظبي والشارقة ورأس الخيمة والفجيرة جهودا في المحافظة على هذه المواقع الاثرية وترميم المباني القديمة.

* Map ref. K 668 Rruciul Oman. 1:100,000,2 GSGS ed.sheet NG- 40-102, DD025573.

نماذج عشوائية من الجزء الاعلى من الهضبة تضمن اعشابا، ورخويات، وأنواعا اخرى من هذه الرخويات، غير ان بقايا اصداف المحار كانت هي الغالبة. ان اصداف المحار لاتعتبر اليوم مقبولة تماما غير ان الاذواق قد تغيرت الان وليس من الممكن القول بما يتوفر من دليل ما اذا كان الرجال الذين كانوا يسحبون قواربهم عند الغروب مشغولين بشكل رئيس في البحث عن اللؤلؤ او الصيد للرزق.

الى الشرق وعبر شبه جزيرة عمان تم مؤخرا اكتشاف هضبة قديمة تحتوي على اصداف في منطقة ساحل قرم حوالي ١٢ كم الى الغرب من مسقط (توسي ١٩٧٥، ١٩٤ - ١٩٥). وتشاهد فيها اطلال الاستيطان مختلطة بالاصداف والتي يبدو انها كانت قد اكلت في الموقع نفسه، ولعل من المناسب الاشارة الى ان النماذج التي جمعت تحتوي على اجزاء من اصداف المحار، بالرغم من انها لاتماثل تلك المكتشفة في رأس الخيمة.(٧)

وبالرغم من ان تجارة اللؤلؤ قد انحسرت بشكل جوهري منذ ان طور اليابانيون اللؤلؤ الصناعي في الثلاثينات من هذا القرن فان الغوص على اللؤلؤ هو الاساس في معيشة سكان الخليج منذ عصور ماقبل التاريخ.

ان هضاب الاصداف موجودة على طول الساحل القديم للمملكة العربية السعودية جنوب القطيف قرب مواقع الاستيطان القديمة (كورنوول ١٩٤٦، ٣٨) وفي مواقع الحفر في جزيرة البحرين قرب رأس الجزاير، وبعيدا عن البحر بكيلومتر واحد يتضح ان الصيد قد تم سوية مع الاستيطان من خلال الفخاريات التي تعود للعصر البربري في الالف الثالث (نلسون ١٩٥٨) ان فحص الاصداف الموجودة على البر مع تلك الموجودة في البحر يوضح اختلاف الصيد المحدود عن الغوص على اللؤلؤ ويمكن ان يوضح ندرة هضاب الاصداف نسبيا حول سواحل الخليج.

ويبدو ان هضاب شمل تمثل نشاطات مجموعات الصيادين الصغيرة الذين استقروا

---

(٧) هناك نوعية من الاصداف تنتشر على الساحل الغربي للامارات وبعض من دول الخليج العربي بعضها حديث جدا، وخاص بصيد اللؤلؤ الذي ازدهر في الخليج العربي منذ القرنين الماضيين والاكوام الثانية هي اصداف قواقع بحرية تعود الى فترة العصر الحجري الحديث ٦٠٠٠ سنة من الان (حسب تقرير البعثة الفرنسية المشتركة لامارة الشارقة عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥) وهذه الاكوام الصدفية منتشرة على ساحل الامارات حيث تبين ان السكان في تلك الفترة القديمة كانوا يعتمدون في معيشتهم على البحر من اسماك وقواقع وتبين من التنقيبات ان هنالك سهاما وامواسا وشظايا مشابهة مع ماموجود في داخل الامارات (المنطقة الوسطى الصحراوية) ومناطق خليجية اخرى مثل مواقع في قطر ومسقط وقطع غير معروف الاصل لحد الان.

في المنطقة على مايعتقد، علما بانه لاتوجد مؤشرات بارزة على السطح عن استيطان دائم قرب الهضاب.

الى الشمال بحوالي ١٨كم، اكتشف مقر استيطان في منطقة تشرف على البحر الى الشرق من قرية غليلة والموقع يقع في مكان صخري يقطع مدخله حوض جدول قديم ينبع من جبل حديد. ان وصف شكله كان مستحيلا بسبب ضيق الوقت غير ان الاساسات المستطيلة الشكل والمتعددة والتي بنيت بجلاميد صخرية كبيرة يمكن ان تبدو على السطح، واحدى قياسات البناء تبلغ ٨,٦٤م × ٥,٧٦م. وهناك ثلاث روابي مغطاة بكتل من الحجارة تحتل موقعا متوسطا في الموقع، كما تشاهد في اماكن اخرى شقوق جدارية مشيدة بصخر الجلمود وحشوة بكسارة الحجارة الخشنة كما وجدت قبور كبيرة متعددة بيضوية الشكل بحجارة جدران مصقولة قرب مواقع الاستيطان وفي منطقة الى الجنوب منها. والبعض من هذه القبور ذات مقاييس تبلغ ١٠,٥٠م × ٥,٦٠م وهي من نوع غير متوقع وجوده في رأس الخيمة حتى اليوم. ويؤمل ان يتم التنقيب عن نماذج من هذه القبور سوية مع القبور الطويلة خلال شتاء ١٩٧٦/١٩٧٧ حين يقوم فريق انكليزي بفحص مواقع متعددة نيابة عن حكومة رأس الخيمة[٨].

ان الفخاريات الحمراء الخشنة الملمس والتي وجدت في هضبة الاصداف في شمل شكلت مجموعة مترابطة يمكن ان توجد كذلك في غليلة رغم العثور على لقى اخرى هناك فيما بعد. وقد لوحظ ان الفخاريات كانت عبارة عن صناعة يدوية رقيقة تحتوي على حبيبات رملية خشنة. اما السطح فقد كان ناعما محروقا مما اكسب هذا الفخار لونا بنيا محمرا او على الاقل احمر برتقاليا.

ان الكثير من القطع الفخارية تكشف عن ان الفخار صنع بظروف رديئة، وعن التحام مقدار ضئيل من التبن بالعجينة وهي طرية وذلك لغرض تقويتها.

ان معظم الاشكال تمثل احواضا وزبديات (طاسات) سميكة ذات حافات مسطحة واحيانا ممسوحة الحافات من الداخل قليلا (الاشكال ٢، ١١، ١٢) او مثلومة من العنق (الاشكال ٢، ٥، ٦) وفي احد النماذج نلاحظ وجود حافة ميزابية

(٨) هذه القبور الكبيرة والطويلة تم التنقيب فيها من قبل بعثتين احداهما انكليزية والاخرى المانية غربية وقد قامت البعثة الالمانية الغربية في العامين الماضيين بفتح عدد من القبور التي تقع تحت سفوح جبال شمل وكانت نتائجها مشجعة جدا، وتم العثور ايضا على قبور مشابهة لهذه القبور في امارة الفجيرة على ساحل عمان في منطقة (البدية) وتم التنقيب في الموقع برئاسة الدكتور وليد ياسين التكريتي موفدا من ادارة الاثار والسياحة بالعين (ابو ظبي) في موسم ١٩٨٧.

(الشكلان ٣، ٢٣)، كما ان الاوعية ذات الاعناق الطويلة كانت شائعة بدرجة أو بأخرى (الاشكال ٣،١٦-١٩) وفي بعض الاحوال توجد الاوعية ذات المقابض المجوفة المنبثقة عن الحافة (الشكلان ٣،٢٢) او عن الاكتاف (الشكلان ٣،٢٠) واحدى الكسور (الشكلان ٣،٢٧) ربما تكون جزء من مبخرة.

ان الزخرفة كانت بسيطة وهي اما تأخذ شكل حزوز حقيقية معلّمة او مرسومة وان التعرج الخشن للحزوز كثيرا ماكان يستعمل في الاباريق (الاشكال ٣، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٨) وان الحلقات المسطحة كانت اما بثلم افقية سطحية (الشكلان ٢،١ والشكلان ٣، ٢٥) او بشقوق طولية متقاطعة بارزة (الشملان ٣، ٢٦) وقد استعملت هذه في الاوعية الكبيرة، واحدى هذه الاوعية ذات الجوانب المستقيمة (الشكلان ٣، ٢٤) كانت مزخرفة بحزوز على نهاية حافتها ويلاحظ ان الرسوم كانت غير ذات فاعلية وقد تم تنفيذها بشكل بدائي.

ان الاوعية ذات الاعناق المستقيمة والاكتاف الملتوية كانت شائعة وقد وجدت بشكلها المصبوغ وغير المصبوغ، وهي اما ذات حافات ناتئة مجوفة (الاشكال ٤، ٣٢، ٣٥) او متعرجة (الاشكال ٤، ٣١، ٣٣) والشكل الأخير تصميم استخدم كذلك في الاوعية غير المقوسة (الشكلان ٤، ٣٧)، وفي داخل الاوعية المفتوحة الثقيلة (الاشكال ٤، ٣٨، ٤٤) وقد لوحظ ذلك جيدا في الشقوق الطولية المتقاطعة على حافة قدح او وعاء صغير (الشكلان ٤، ٤٢).

ان هذه الاشكال والانواع المزخرفة رغم بساطتها تخدم تاريخ الفخاريات المكتشفة في هضبة الاصداف بكونه يعود الى حوالي منتصف الالف الاول ق.م. وان التاريخ اعتمد على المقارنة مع المواد المكتشفة في قرن بنت سعود في واحة العين في (ابوظبي)[٩]

(٩) تشير هذه الفخاريات الى مواقع تعود للالف الاول قبل الميلاد والمسماة في الامارات بالعصر الحديدي وتنتشر هذه المواقع في جميع مناطق الامارات ومن احسن امثلتها موقع (قرن) او بدع بنت سعود بالعين والفصيص بدبي، وهناك الكثير من هذه المواقع لم يتم التنقيب فيها في امارة الشارقة، وتختلط الاواني الفخارية في القبور والمواقع التي تعود الى هذه الفترة مع قطع تعود الى عصر احدث منه وهو العصر الهلنستي (القرن الثاني ق.م) حيث تكون مواقع العصر الهلنستي قريبة من هذه المواقع ومواقع العصر الهلنستي في المنطقة والمهمة في الامارات متعددة، اهمها موقع كبير في امارة الشارقة يسمى (مليحة) واول من نقب فيه البعثة العراقية ١٩٧٣ ثم استمر التنقيب فيه اعوام ١٩٨٤ - ١٩٨٦ حيث عملت البعثة الفرنسية ونشرت عنه ثلاثة تقارير اثرية في طريقها للنشر، وهناك ايضا موقع (الدور) بامارة ام القيوين والذي عملت فيه البعثة العراقية ايضا في الوقت نفسه والذي كانت تعمل فيه بالموقع الاول، ثم اعيد العمل فيه عام ١٩٨٧ من قبل بعثات اجنبية (دانماركية - فرنسية - انكليزية - واخيرا بعثة بلجيكية).

(فريفلت ١٩٧١، ٣٧٨) واني مدينة بالشكر للدكتور فريفلت لفحصه الكسور وتأكيده لملاحظاتي ان فخاريات مشابهة قد عُثر عليها في مواقع قرب خت ودبا وعلى طول ساحل الباطنة الشمالي (دي كاردي ١٩٧١، المواقع ١٦ ب، ٢٤، ٣٢، و ٣٣سي، فريفلت ١٩٦٩، ١٧١و ١٩٧١، ٣٧٨) كما تمت المقارنة مع ثلاثة مواقع في عمان، الاول قرب صحار على الساحل الشرقي، والاثنان الاخريان يقعان في وادي بهلة (همفريز SH11197٤، الاشكال ١١، ١٢ BB4 الاشكال BB15 ٧_٦، و الاشكال ٨ ـ ١٠). واستنادا الى السيراميك المماثل لذاك المكتشف في المواقع الايرانية، يعتقد ان مواقع الاستيطان العمانية قد بدأت منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى اواخر الالف الاول ق.م.

وليس من المناسب الدخول في تفصيلات اخرى فيما يتعلق بمواد السطح والتي لم يتم فحصها الا في مواقع غليلة وشمل. ان التنقيبات الاثارية تضيف الفي سنة الى الوراء فيما يتعلق بتاريخ رأس الخيمة وان اكتشاف مجموعة السيراميك هذه على مساحة واسعة جدا من شبه جزيرة عمان يدعو لاجراء فحوصات وتنقيبات اضافية.

= ولعل مما تجدر الاشارة اليه ان جميع هذه الابحاث والتنقيبات والدراسات تتم من قبل خبراء اجانب وبلغات اجنبية غير عربية عدا اليسير منها فضلا عن الندوات والمؤتمرات فانها جميعا تعقد خارج المنطقة العربية وتحديدا في اوروبا ولايحضرها سوى القليل من المتخصصين العرب ومن المهتمين من ابناء المنطقة، لذا ارى ضرورة مساهمة الحكومات والهيئات العلمية العربية والجامعات للوصول الى المنطقة وضمن برامج محددة للمشاركة في اعمال التنقيب والدراسة وتقويت الفرصة على البعثات الاجنبية. ومن ناحية اخرى فهناك ضرورة اهتمام المتخصصين العربي والمهتمين بما يسمى باثار الخليج العربي والذي سبقهم اليه الباحثون الاجانب والجامعات التي افردت اقساما خاصة لاثار الخليج العربي وتقوم بدعم الجهود في هذا السبيل وصولا الى احتكار المعلومات الخاصة بهذا الجزء المهم من العالم.

هوامش الاشكال

شكل رقم ـ ٢ ـ

• برواسب أو بدون رواسب

١ ـ احمر	بني مصقول
٢ ـ احمر محروق مشرب بالماء	بني محمر خارجي
٣ ـ احمر محبب	بني غامق
٤ ـ احمر رملي	بني غامق داخلي
٥ ـ احمر رملي	بني محمر
٦ ـ احمر رملي	احمر برتقالي داخلي
٧ ـ احمر غامق	رمادي برتقالي
٨ ـ احمر	بني غامق خارجي
٩ ـ احمر غامق	بني غامق خارجي
١٠ ـ احمر	احمر برتقالي
١١ ـ رمادي محمر محبب	بني
١٢ ـ رمادي محمر محبب	بني محمر خارجي
١٣ ـ احمر محبب	بني
١٤ ـ احمر محبب	بني محمر
١٥ ـ احمر رملي كثيف	بني محمر خارجي

شكل رقم ـ ٣ ـ

١٦ ـ وردي رمادي رملي	بني محزز
١٧ ـ وردي محمر	بني فاتح خارجي محزز
١٨ ـ احمر رملي	بني محمر خارجي
١٩ ـ احمر	احمر خارجي محزز
٢٠ ـ احمر	احمر بني خارجي
٢١ ـ احمر محبب	بني محمر خارجي
٢٢ ـ احمر محبب	بني برتقالي خارجي
٢٣ ـ اصفر برتقالي محبب	رمادي برتقالي خارجي
٢٤ ـ برتقالي احمر رمادي	رمادي محمر محزز
٢٥ ـ احمر محروق مشرب بالماء	بني غامق خارجي مصقول
٢٦ ـ احمر بمركز رمادي	رمادي برتقالي خارجي مصقول ومحزز
٢٧ ـ برتقالي محبب	بني خارجي

• مالم تتم الاشارة الى انه برواسب او بدونها

٢٨ ـ احمر برتقالي		بئر محمر داخلي وبني محمر خارجي
٢٩ ـ احمر		برتقالي احمر
٣٠ ـ احمر		بني محمر داخلي
شكل رقم ـ ٤ ـ		
٣١ ـ احمر	احمر	بني مصبوغ
٣٢ ـ احمر محبب	بني غامق محروق	بني فاتح مصبوغ
٣٣ ـ احمر	برتقالي احمر	بني فاتح مصبوغ
٣٤ ـ احمر رملي خارجي		بني خارجي مصبوغ
٣٥ ـ احمر رملي		برتقالي محمر
٣٦ ـ برتقالي محبب	بني غامق داخلي	اسود مصبوغ
٣٧ ـ احمر رملي	بني محمر	بني مصبوغ
٣٨ ـ وردي	غامق خارجي	اسود مصبوغ
٣٩ ـ احمر رملي	برتقالي محمر	اسود مصبوغ
٤٠ ـ احمر رملي		بني غامق
٤١ ـ احمر رملي	احمر خارجي	اسود مصبوغ
٤٢ ـ احمر رملي	بني محمر	بني مصبوغ
٤٣ ـ برتقالي وردي	فاتح خارجي	بني مصبوغ.

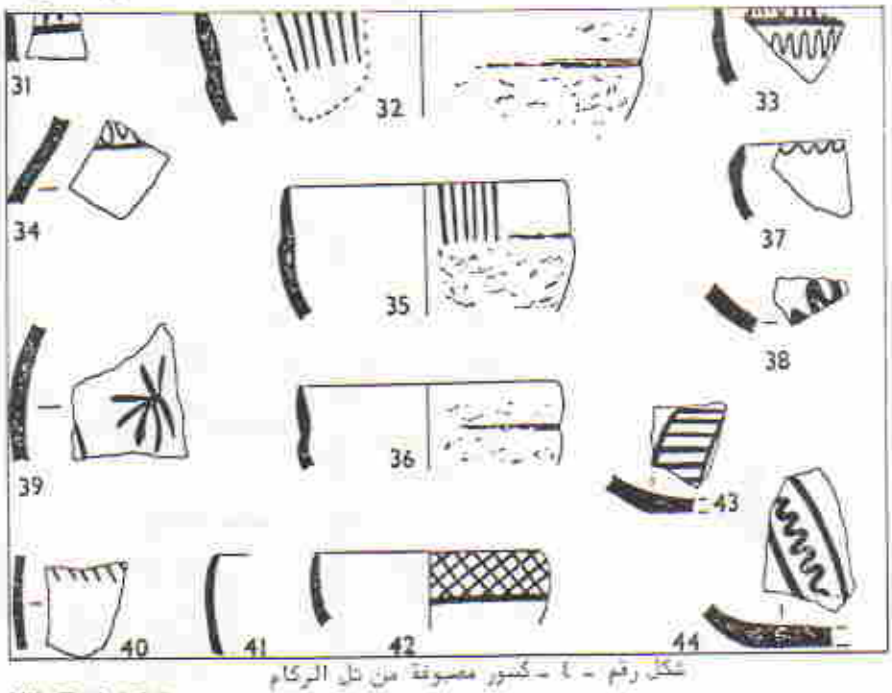

شكل رقم ـ ٤ ـ كسور مصبوغة من تل الركام

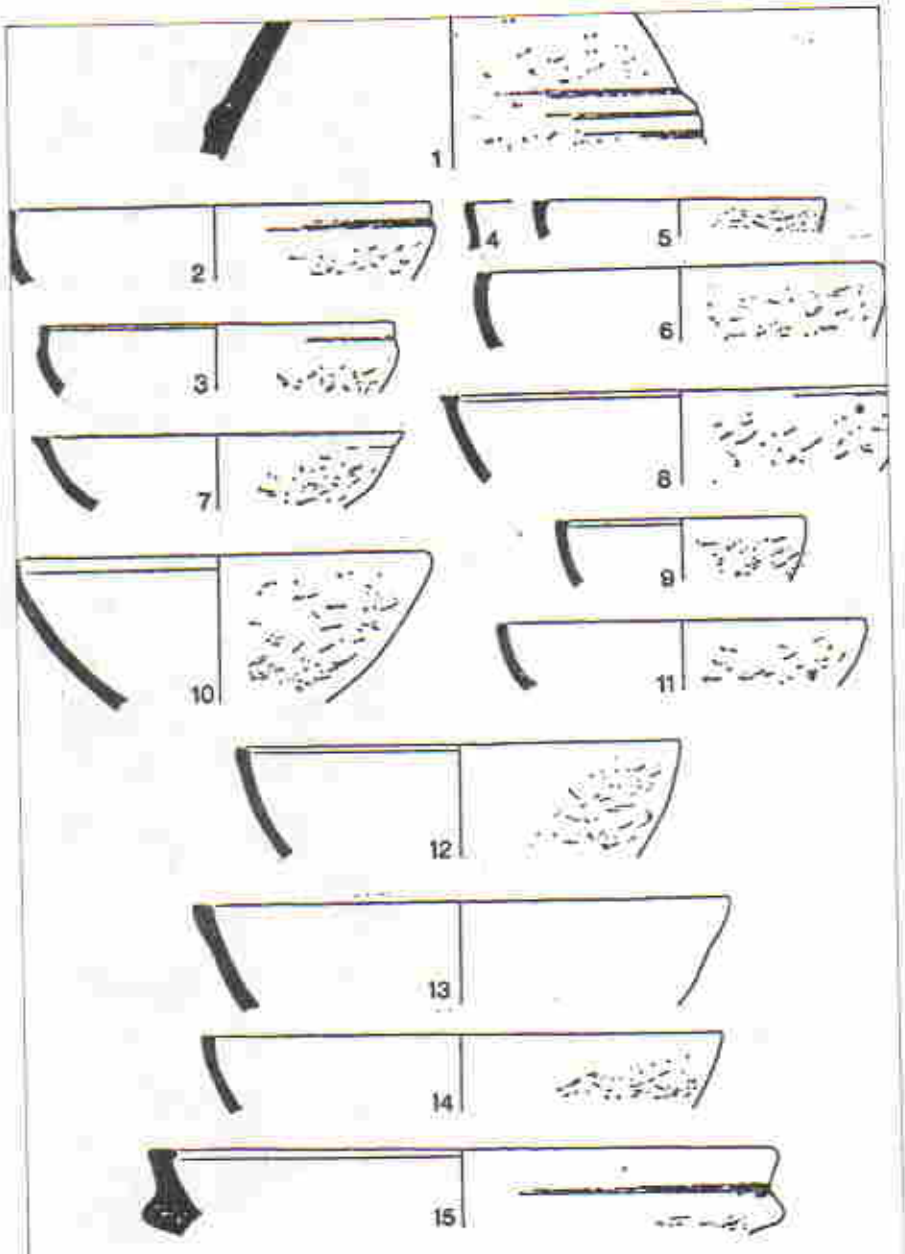

شكل رقم ـ ٢ ـ فخاريات خشنة الملمس من تل الركام قرب شمل

شريحة xx11b : احد الاوجه الاربعة لصخرة منقوشة

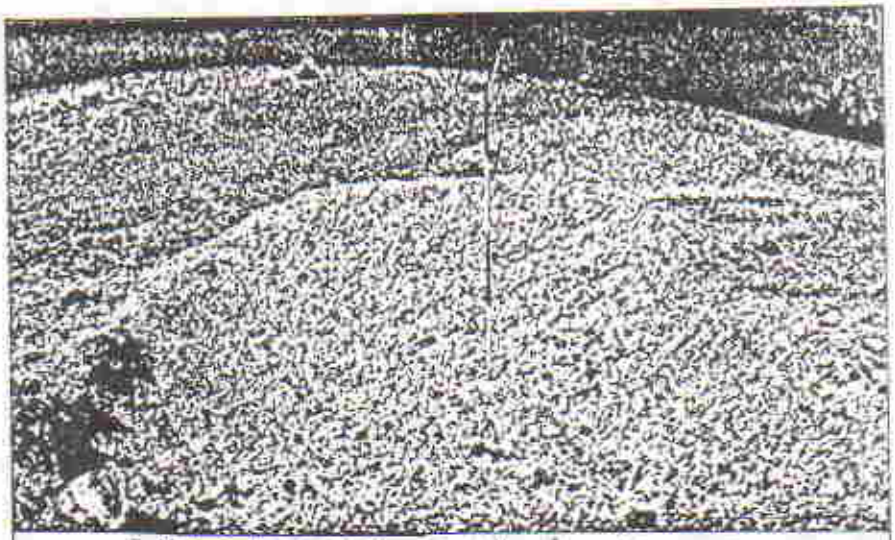

شريحة a xx11 رأس الخيمة : مكتشفات اثارية اضافية
تل الركام قرب شمل رأس الخيمة

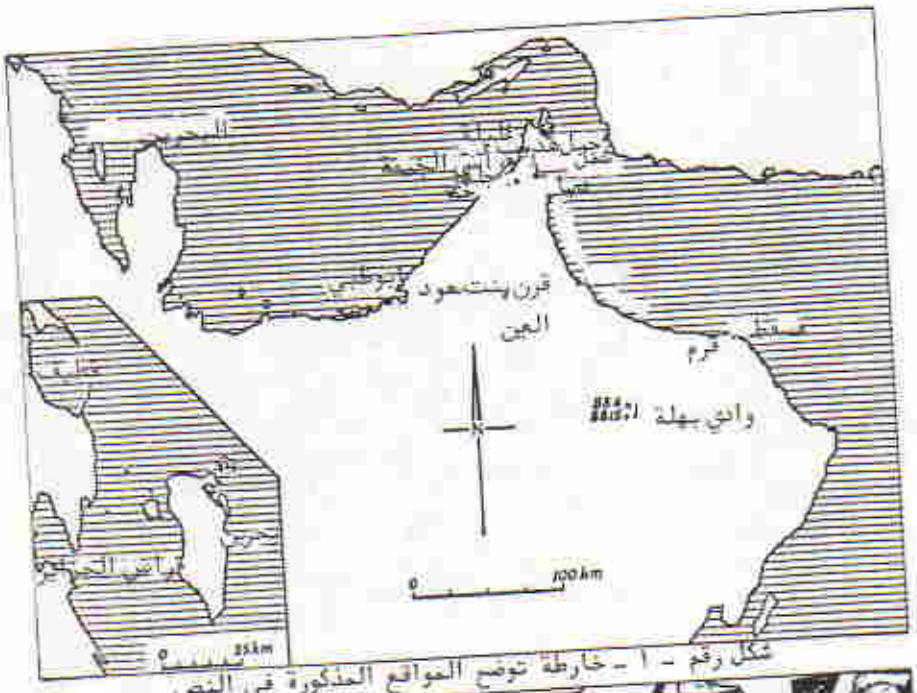

شكل رقم - ١ - خارطة توضح المواقع المذكورة في النص

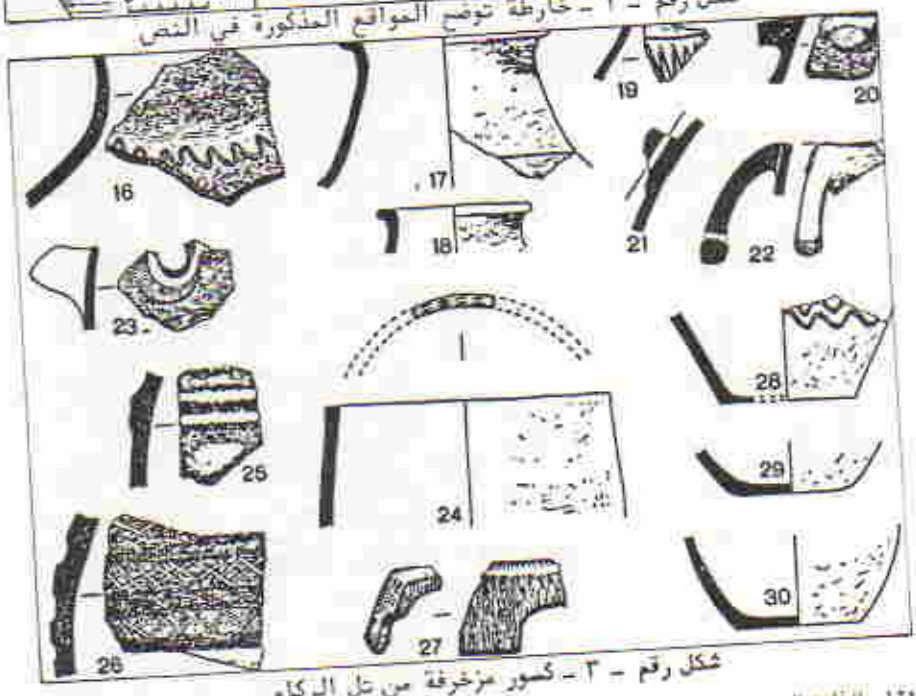

شكل رقم - ٣ - كسور مزخرفة من تل الركام